

السخرية الثورية في الشعر العراقي المعاصر- شعر أحمد مطر نموذجاً

الباحثة منيژه نجفيان
طالبة دكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها
الأستاذ المساعد الدكتور
محمد جواد غانمي
jghanemy@yahoo.com
جمهورية إيران الإسلامية
جامعة آزاد الإسلامية آبادان - كلية الآداب

Revolutionary sarcasm in Modren Iraqi Poem Ahmed Matar sample

Researcher Mounera Najefan
Doctor Student Arabic section
Asst.Prof..dr.
Mohameed J. Ghanami
jghanemy@yahoo.com
Islamic Republic of Iran
Islamic Azad Abadan University –Arts College

الملخص :

دأب الشعراء العرب المعاصرون لتوظيف التقنيات المختلفة لإبراز مواقفهم تجاه الأوضاع السائدة في بلدانهم، فمنهم اتخذ من الرمز والرمزية أسلوباً يكافح الأوضاع السلبية ومنهم اتخذ من السخرية ولاسيما السخرية الثورية وسيلة لردع الحاكم وفعاله بلغة ساخرة لاذعة تردع أضرار الظلم والاضلال. وقد يعتبر الشاعر العراقي المعاصر "أحمد مطر" من الشعراء العراقيين البارزين الذين أخذوا علي عاتقهم الدفاع عن الوطن. فكانت قصائده واسلوبه الساخر ردة فعل عنيفة وصرخة حية ووهجاً حاداً وتقديراً لاذعاً في كثير من الاحيان ضد النظام البعثي وممارساته القمعية وافشاء مؤامرات السلطات الحكومية والمخبرين والقوي السريين و الأجانب . فهو يحاول من خلال السخرية أن ينتقد الأوضاع العراقية الراهنة والأمة العربية ورجالها السياسيين ويحث الشعب العراقي علي التحرك من أجل قضاياها والوقوف والوقوف بوجه النظام البعثي آنذاك.

فهذه الدراسة التي اعتمدت علي المنهج الوصفي - التحليلي تهدف إلي معالجة مفاهيم السخرية الثورية وحقولها الدلالية في شعر "أحمد مطر" والعمل علي تبين اسلوبه الساخر واللاذع في معالجة قضايا المجتمع العراقي وتبين مدى أثرها في ايقاظ الوعي المواطنين في محاربة الطغيان و مجابهة الاستبداد ومحاربة التناقضات والجهل والشعارات الزائفة ورفض الواقع المزري..

الكلمات المفتاحية : أحمد مطر ، الشعر العراقي المعاصر، السخرية ، السخرية الثورية، البلدان العربية، فلسطين

Abstract

The contemporary Arab poets have used various techniques to highlight their attitudes towards the prevailing conditions in their countries. Some of them have taken symbolism and symbolism as a way to combat negative situations. Some of them have taken a cynical and cynical manner to deter the ruler and his exploits in a sarcastic language that deters injustice and injustice. The contemporary Iraqi poet Ahmed Matar may be one of the prominent Iraqi poets who have taken upon themselves to defend the homeland. His poems and sarcastic style were a violent reaction, a harsh cry, a sharp and harsh rebuke against the Baathist regime, its repressive practices, and the conspiracies of government authorities, informants, secretaries and foreigners. Through cynicism, he tries to criticize the current Iraqi situation, the Arab nation and its political men, and urges the Iraqi people to move for their cause and stand up and stand against the Baathist regime.

This study, which is based on the descriptive-analytical approach, aims to address the concepts of the irony and its semantic fields in Ahmad Matar poetry and to show his sarcastic style in dealing with the issues of Iraqi society and show its effect in awakening citizens' awareness in fighting tyranny and confronting tyranny and fighting contradictions and ignorance. False slogans and rejection of deplorable reality.

Keywords: Ahmed Matar, Contemporary Iraqi Poetry, Irony, Revolutionary Irony, Arab Countries, Palestine

المقدمة:

رغم التغيير الحاصل في الشكل و المضامين الشعرية عند الشعراء الجدد لم، نلاحظ تغييراً هاماً في مجال استخدام الفن الساخر عند الشعراء، فما زالت المواضيع نفسها التي كانت تستخدم في الشعر الكلاسيكي إلا أننا نرى قد تغير الأسلوب من المباشر إلي الغير مباشر و في بعض الأمعان و التدقيق. و عندما نتصفح دواوين هؤلاء الشعراء، نجد السخرية قد أخذت حيزاً واسعاً من الشعر الساخر بالنسبة لأنواع السخرية الشعرية المستخدمة في شعرهم، و قد ساهمت السخرية السياسية في تمثيل الواضع الراهن في العالم العربي حيث تمنحنا صوراً واضحة عن قضاياها و تساعدنا في الإصلاح علي خفاياه من مختلف جوانبه، المحلية و العربية و العالمية، رابطة الأحداث بما يدور حولنا. طبعاً، لم تقتصر السخرية عند هؤلاء الشعراء علي هذا اللون فقط، بل نجد في مجالات أخرى قد استطاعت السخرية أن تصوّر من خلالها معالم حياة العالم العربي لأن السخرية تنبثق مع كل حركة أو كلمة و لا تحدّد نبوع خاص أو مجال محدود، و بالأحرى نستطيع أن نقول: كل موضوع يصلح أن يكون محطة للسخرية. ومن جملة هؤلاء الشعراء الذين وظفوا أسلوب السخرية كأداة فاعلة في تصوير الواقع المرير لشعبه العراقي والأمة العربية جمعاء هو الشاعر المناضل " أحمد مطر " فهو استخدم بغزارة السخرية في شعره لا سيما في المجال السياسي، فالسخرية عنده سلاح هجومي لا يخرق الاعراف، و لا يتحدي القوانين إذا أحسن استخدامه ظاهراً أو باطناً في عبارات و التفاتات ذكية. يصنف الشاعر أحمد مطر في خانة الشعراء السياسيين والشعراء المقاومة، له الأسلوب الخاص الذي يميزه من الشعراء الآخرين. تأثر الشاعر من القرآن وألفاظه ومعانيه بشكل خاص وهذه القضية واضحة في أساليبه الشعرية، كالأسلوب القصصي. الأسلوب القصصي كأداة في يد الشاعر لبيان هدفه من إنشاد الشعر وهذا الهدف هو بيان المصائب الموجودة في مجتمعه. السخرية هو كسلاح في يد الشاعر لإفشاء مؤامرات السلطات الحكومية والمخبرين والقوي السريين و الأجانب. مع أن أحمد مطر من شعراء الشعر الحر لكن يلزم نفسه بالقافية في أكثر الأحيان لما في القافية من أثر جيد علي السامعين والقراء. إكتفائه بالصور البيانية والبديعية يمثل الخيال الشاعر و قدرة الشعرية لديه. أحمد مطر

يستخدم كل هذه الأساليب ليبين إعتراضاته من وضع مرير مجتمعه وكبت الحريات سواء الحرية الإجتماعي أو حرية التعبير.

درسنا في هذا المقال النزر اليسير من قصائده الفكاهية الساخرة التي تبين قدرة الشاعر وبراعته على نظم الشعر في شتى الجوانب الشعرية، فالقصائد التي استخدم السخرية والفكاهة فيها كثيرة، جلّها انصب في الجانب السياسي، وخالطته روح المعاتبة لبني قومه، فالشاعر يستعمل السخرية تنفساً وتعبيراً عن مرارته. فالهدف الذي حاولت الوصول إليه في هذا المقال هو دراسة الشعر الساخر الثوري عند احمد مطر وتحديد مجموعة من السمات الأسلوبية التي تميز بها أسلوب الشاعر. وفي هذا الصدد طرحنا بعض الأسئلة ومن تلك الأسئلة ما يلي:

١- لماذا لجاء الشاعر إلي توظيف السخرية الثورية في شعره؟

٢- ماهي الحقول الدلالية التي طرقها الشاعر عبر السخرية والتهكم؟

الدراسات السابقة

قد شغلت اشعار احمد مطر حيزاً واسعاً من الدراسات منها: دراسة أحمد غنيم، كمال ، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر (نقد)،. ومقال الالتزام في شعر أحمد مطر، للباحث عبد الحميد عبدالغفور. ومقال العملية الابداعية من منظور تأويلي ل احمد مطر، ، للباحث عبدالرفيع الهندي، ومقال الحكاية الساخرة في أدب احمد مطر، للباحث حامد بكري ومقال التوظيف القرآني في شعر أحمد مطر، للباحث حافظ كوزي عبدالعال ومقال المفارقة في شعر أحمد مطر ، للباحثة انتصار جويدان عيدان، ومقال اساليب السرد القصصي ووسائله في شعر احمد مطر، نجوي محمد جمعة. ومقال ،أساليب إستخدام السخرية في التصاوير الفكاهية لأحمد مطر، للباحث يحيي معروف ودراسات نقدية أخرى تناولت شعر أحمد مطر يطيل المقام عن ذكرها.

١-السخرية ومفهومها

تمثّل السّخرية فنّاً رائعاً من الفنون الانسانية التي تعبّر عن تطوّر المجتمعات البشرية عبر التاريخ. السخرية صفة في العمل أو في الكلام أو في الموقف أو في الكتابة التي تثير الضحك لدي القراء و هي "في الشعر طريقة تعبيرية منظوره،توسل بها الشعراء لنقد الاوضاع السياسي والاجتماعيه والسيرالفرديه ونيل منها باسلوب يترفع عن الشتيمة

والسبب المحض و يتنزه عن القذف والايغال في الفحش ورفث القول". (التميمي د.ت: ٣٥) يعتبر عباس محمود العقاد أول من تحدّث عن ملكة السخر عند المعري، ألف الدكتور شوقي ضيف كتابه "الفكاهة في مصر" وهناك مولفون آخرون ألفوا كتباً عديدة في مجال السخرية و الفكاهة و الضحك و أخيراً الدكتور نعمان محمد أمين طه ألف كتاباً سمّاه "السخرية في الادب العربي حتي النهاية القرن الرابع الهجري" و إذا أردنا أن ندخل البحث لا بد أن نشير إلي معني السخرية لغة و إصطلاحاً.

--السخرية لغة وإصطلاحاً.

السخرية هي الاستهزاء ،نقول:سخر منه وبه ورد في لسان العرب سَخِرَ منه و به سَخَرًا و سَخَرًا و مَسَخَرًا و سَخَرًا... هزئ به و الاسم سخرة وسخرى وسخرية. و قد وردت في القرآن الكريم بلفظة السخرية في أربعة عشر موضعاً كما نقرأ "إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا ، فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ"(هود: ٣٨) هنالك تعاريف عدة للسخرية ، والتعريف المقترح للدكتور نعمان طه هو: "لَوْنٌ هزلي أدبي موجّه ، يقوم علي النقض المضحك أو التجريح الهازئ ، معتمداً علي أساليب و وسائل فنية مختلفة و غرض الساخر هو النقد أولا و الاضحاك ثانيا و هو تصوير الانسان تصويرا مضحكا إما بوضعه في صورة مضحكة بواسطة التشويه أو تكبير العيوب الجسميه أو العضوية أو الحركية أو العقلية أو ما فيه من عيوب حين سلوكه مع المجتمع و كل ذلك بطريقة خاصة غير مباشرة". (طه، ١٠: ١٩٧٨) وللسخرية ألفاظ مترادفة بمعنى السخرية كالفكاهة والتهكم والاستهزاء ولم تحاول التفريق وقد تركت أيضاً المعني العام الذي شمل السخرية وغيرها بدون تعريف يقربه من الأذهان . هناك تداخل بين معاني هذه المصطلحات المتقاربة ، بعض المهتمين بالأدب يعتبرون السخرية لوناً من ألوان الفكاهة وبعضهم يحسبون أن الفكاهة جزء من أجزاء السخرية أما الحوفي في كتابه " الفكاهة في الأدب ، أصولها و أنواعها " يعتبر كلّها فكاهة ، لأنه يريدُ بالفكاهة كل باعث علي الضحك و لو اختلف الإسم و يمكن القول أن كلتا النظريتين غير دقيقة لأن الفكاهة شيء والسخرية شيء آخر . و يبدو أن منشأ الخلط بينهما يعود إلي النظر إلي " الضحك " بصفته الغاية الكبرى و الأساسية من الفكاهة و السخرية علي حد سواء . « الفكاهة من معانيها في اللغة المزاح ، و الرجل الفكّه هو الطيب النفس المزاح و الإسم الفكّهية و الفكاهة ... و الغفلة و التغافل و

التناقض و التخلص الفكه و الدعابة و المزاح و الهزل و التهكم و السخرية ... كل منها فكاهة اذا كان مثيراً للضحك ، لأنني أريدُ بالفكاهة كل باعث علي الضحك من فنون القول ، و إن اختلف الاسم " (الخوفي، ٢٠٠٥ : ٨-٧)

و لا ينكر أحدُ الصلة الوثيقة بين السخرية و الفكاهة ، لأن الضحك أو الإضحاك يولد من أي منهما . إن الضحك المنبعث من الفكاهة ضحك سار و مبهج ، لكن السخرية مؤلمة موجهة و لو انبعث منها أو معها الضحك فإنما هو ضحك حار يقترب من البكاء . و يضيفُ الخوفي أن السخرية شعور عميق ينبعث من اعماق الانسان بينما الفكاهة ضحك سطحي و عارض . الضحك و المضاحكة سلوك اجتماعي و السخرية ظاهرة فردية ترتبط بموقف الفكري للانسان تجاه ما يشاهده في المجتمع . فالسخرية في مصطلحها الادبي هي " محاولة إعادة النظر للأشياء بصورة مختلفة ، أيضاً يمكن أن تضفي السخرية علي بعض الأشياء كثيراً من المبالغة، هذه المبالغة التي لا تتراد لذاتها بل لتلفت الانتباه و لتمييزها عن سواها ، و أحياناً تصوّر الأمور بشكل ظاهره الضحك و باطنه النقد و التنبيه..." (جاسم الحسين، ١٩٩٧ : ٤٧)

"تختلف أغراض الشعراء من ممارسة السخرية ، ففري فريقاً منهم يلجأون إليها بهدف التلهي و الضحك و دفع السامة والملل و رفع كابوس الهم و الحزن و إبعاد النفس عن الحياة الرتيبة ، بإطلاقها من أسر الجد و إصطباغها بصبغة هزلية ... إلا أن فريقاً آخر من الشعراء وعوا مسووليتهم الاجتماعية و موقعهم المميز فأشاروا إلي مواضع الفساد و الافساد و التزلف و الجهل و غير ذلك بهدف اصلاح المجتمع و القضاء علي مظاهر الفساد فيه ..." (طالبي و الزملاء، ١٤٣٣-١٤٣٤ : ٧٨)

"فالسخرية جراءة علي الواقع وأحياناً تعبر عن عدم التطابق بين المأمول و الواقع وقد تنتج عن تباين الأساليب و الرؤي وأحياناً يكون الشغل علي الشخصية فقد تأخذ بعض الحالات الغريبة التي تجعلها أكثر اقتراباً من الواقع..." (المصدر نفسه: ٥٣) السخرية هي إحدي وسائل نقد الواقع وأن الإنسان إنما يلجأ إليها ليعالج نواقص مجتمعه عن طريقها و هي في الادب لون صعب الأداء لما يتطلبه من موهبة خاصة و يمكن القول بأن السخرية هي النقد الضاحك أو التجريح الهازئ و غرض الساخر هو النقد أولاً و الإضحاك ثانياً. "الغرض الاساسي من السخرية ليس الإضحاك ، و الاديبي الذي

يستخدم هذا النوع ينتقد الناس و المجتمع ، ولكن في شيء من الحياء و التحفظ ، و تكون لديه القدرة ، علي كشف النفس البشرية... " (السطوح، ٢٠٠٧: ٥٢) " والباعث الاساسي للسخرية هو مناقضة رأي المجموع أو ذوقه ، و قد تكون نابعة عن حساسية الناقد نفسه ، فهو يكون ذا عين بصيرة نقّاذة ، يحس نقائص المجتمع ، ثم يكون ذا روح مرح ضاحك يتناول العالم و ما فيه تناولاً بأساليب السخرية المختلفة ، يقصد من وراء ذلك الإصلاح... " (طه، ١٩٧٨: ١٧)

فالسخرية سلاح أقوى من السب أو الضرب أو العراك . إنّ هذه الوسائل البدائية السالفة الذكر وسائل الانسان الضعيف الحيلة و تدل علي انهيار الشخص النفسي لما حدث له من خصمه ، تقدم السخرية صورة هجائية عن الجوانب القبيحة والسلبية للحياة ، كما تصور معايب المجتمعات ومفاسدها ، وحقائقها المرة بالمبالغة الشديدة ، حيث تظهر تلك الحقائق أكثر قبّحاً ومرارة لتظهر خصائصها وميزاتها بشكل أكثر وضوحاً ، ولتجلي التناقض العميق بين الوضع الموجود والحياة الكريمة المنشودة . "فالسخرية ماكان ظاهره جد وباطنه هزل ، وطريقة السؤال عن شيء مع إظهار الجهل به ، وان تلقي على محدثك _ بعد التسليم بأقواله _ أسئلة تثير الشكوك في نفسه حتى إذا انتقل من قول إلى قول أدرك ما في موقفه من التناقض واضطر إلى التسليم لجهله . " (صليبا ، ١٩٧٨: ٣٠٦/١)

فالسخرية إذاً لا يمكن أن تكون هي النكتة أو المزاح ولا هي التهكم ولا الهجاء ذاته ولا هي الفكاهة وحدها بل هي شيء أسمى من ذلك ، إنها " رد الإنسان الأعظم على معاكسة القدر ، وظلم الدهر ، وقسوة الطبيعة أو عيوب المجتمع ، ونقائص الناس ، وهو يسخر من هذه جميعاً ، ولا يسبها ولا يحقد عليها بل يتأملها بهدوء ويصبر سخافتها وتناقضها وتفاهتها وصغرها ، فيعلو عليها جميعاً ويتحدث عنها بابتسامة هادئة جميلة مستخفة هازئة وينبغي أن لا يكون حديثه سيء اللفظ بذيئاً ، ولا يكون ثائراً وإلا كان سخراً ، فالسخر هو الهدوء التام والأدب التام والعلو التام عن مصائب الدنيا". (النويهي، ١٩٦٩: ٣٣٢)

٢-السخرية عند الشعراء العراقيين المعاصرين

ما أكثر الهموم و المشاغل التي يواجهها الانسان في الحياة وقديماً قالوا " شرّ البلية ما يضحك" وما أكثر المصائب و النكبات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي ابتلي

بها أبناء هذا العصر فانعكست علي لسان الادباء، ففي العراق و تحديداً بعد الحرب العالمية الثانية كان الوضع السياسي قاسياً جداً، وكان الشعر الساخر "نتيجة لسياسات الأنظمة الحاكمة من فقدان الأمن و تسلط الدكتاتورية وكان من الطبيعي أن يرافق الشاعر في تعبيره هذا موجات من الغضب و العنف و السخط، فالكبت و انعدام الحرية و تكميم الأفواه والحاكم و المحكوم و الجوع والتفاوت الطبقي كانت الباعث علي قول الشعر الساخر ، الساخط علي تلك الأنظمة و سياستها التعسفية ، فكان هذا الشعر متنفس الشعراء الذين تشكلوا عبر جبهة معارضة لنظام الحكم و فساد السياسة "(الكعبي ٢٠١٢م: ١٢٨)

و الشعراء العراقيون استخدموا كثيراً من السخرية في موضوعات السياسي و الاجتماعي في القرن العشرين . يقول معروف الرصافي في قصيدة " الحرية في سياسة المستعمرين " :

يا قوم لا تتكلموا إن الكلام محرم
ناموا ولا تسيقظوا ما فاز إلا النوم
وتأخروا عن كلمنا يقضي بأن تتقدموا
ودعوا التفهم جانباً فالخير ألاتفهموا ...

(بدوي، ٣٠:١٩٦٩)

و يقول " عبدالوهاب البياتي " و هو من رواد الشعر الحر :

أجنحة الشاعر في بلادنا جليد
تذوب إن طارت إلي البيد
قبة الثلج علي (صنين)
تُحرقها الشمس
فلأيقني سيروي الرماد يكفّن الحقول
و يغمر الوديان بالذهول ...

(البياتي، ١٣: ١٩٩٥)

و إن أردنا أن نذكر عدداً من الشعراء العراقيين في العصر الحديث الذين عُنوا بالسخرية نستطيع أن نذكر الجواهري و احمد الصافي النجفي و مظفر النواب و أحمد مطر ووقد إتخذ أحمد مطر السخرية أسلوباً لشعره فتجلت في كل شعره وأصبح طابعه في كل جوانبه و هو في قالب الشعر الحر. و قد استطاع الشاعر أن يستخدم ألوان السخرية بغزارة لاسيما في المجال السياسي. فالسخرية عنده سلاح هجومي لا يخرق الأعراف ولا يتحدى القوانين إذا أحسن إستخدامه ظاهراً أو باطناً في عباراته.

٣- أحمد مطر سيرته الذاتية والعملية

وُلِدَ أحمد مطر في مطلع الخمسينات ، ابناً رابعاً بين عشرة إخوة من البنين و البنات لأسرة فقيرة ، في قرية "التنومة" ، إحدى نواحي شط العرب في البصرة و عاش فيها مرحلة الطفولة ، قبل أن تنتقل أسرته ، و هو في مرحلة الصبا ، لتقيم عبر النهر في محلة الأصمعي ". (غنيم، ١٩٩٨: ٤٩) " و كان للتنومة تأثير واضح في نفسه ، فهي تنضح بساطة ورقة و طيبة ، مطرزة بالأنهار و الجداول و البساتين ، و بيوت الطين و القصب ، و أشجار النخيل التي لا تكتفي بالإحاطة بالقرية ، بل تقتحم بيوتها . و كثرة البساتين و الأشجار يجعل منظرها خلّاباً يثير إعجاب الناظرين ". (المصدر نفسه: ٥٢) "ترعرع أحمد مطر في أحضان الفقر و الحرمان ، الذين يكابدهما سكان المدينة إضافة إلي اضطهاد النظام المستبد في كل شؤون الحكم . فتأثر بتلك العناصر الطبيعية التي تثير الإعجاب ، كما أخذت سطوة الحكم من روحه و مشاعره كما نراه بوضوح في نغماته الشعرية". (المصدر نفسه: ٥٤)

"بدأ مطر بإنشاد الشعر مبكراً في السن الرابع عشر و لم تخرج قصائده الأولى عن نطاق الغزل و الرومانسية لكن سرعان ما تكشفت له خفايا الصراع بين السلطة و الشعب فألقي بنفسه في فترة مبكرة من عمره في دائرة النار ، فدخل المعترك السياسي خلال مشاركته في الاحتفالات العامة بإلقاء قصائده و كانت تتمحور حول موقف المواطن من سلطة لا تتركه ليعيش ". (عايش، ٢٠٠٦م: ٩)

القسوة و التعذيب و مرارة الواقع و الصراع بين السلطة و الشعب كان دافعاً لنظمه الشعر السياسي و وقوفه موقفاً جريئاً بوجه السلطة الحاكمة . و لم يكن لمثل هذا الموقف

أن يمرّ بسلام ، ما اضطرّ الشاعر في النهاية إلى توديع وطنه و مرابع صباه و التوجّه إلى الكويت ، هارباً من مطاردة السلطة و هكذا عرّف أحمد مطر بشاعر المنفي منذ باكورة حياته ، فلقد حرّمته قصائده لذّة الوطن ، و حرّمته الحياة في مسقط رأسه منذ وقت مبكر من عمره و فضّل - خلافاً للكثير من الشعراء - أن يركب سفينة المقيمين و المضطهدين علي أن يسير في موكب الأمراء و أصحاب السلطان .

و في الكويت عمل في جريدة " القبس " محرراً ثقافياً و كان آنذاك في منتصف العشرينيات من عمره ، حيث مضى يدوّن قصائده التي أخذ نفسه بالشدة من أجل ألا تتعدى موضوعاً واحداً و إن جاءت القصيدة كلّها في بيت واحد . فكانت " القبس " الثغرة التي أخرج منها رأسه ، و باركت انطلاقته الشعرية الانتحارية . و سجّلت لافتاته من دون خوف ، و ساهمت في نشرها بين القراء " . (المصدر نفسه ، ١٠-٩)

وفي رحاب " القبس " عمل الشاعر مع الفنان الفلسطيني ناجي العلي ، ليجد كلّ منهما في الآخر توافقاً نفسياً واضحاً ، فقد كان كلاهما يعرف غيباً أن الآخر يكره ما يكره و يحب ما يحب ، الروابط بينهما كانت تقوم علي الصدق و العفوية و البراءة وحدة الشعور بالمأساة و رؤية الأشياء بعين محدّدة صافية ، بعيدة عن مزلق الايديولوجية . وقد كان أحمد مطر يبدأ الصحيفة بلافتة في الصفحة الأولى و كان ناجي العلي يختمها بلوحته الكاريكاتيرية في الصفحة الأخيرة " . (عايش، ٢٠٠٦: ١٧)

لقد شكّل أحمد مطر صوتاً شعرياً متميزاً ، انتشرت اشعاره بين الجماهير بمجرد بزوغها حيث بدا واضحاً أن الشاعر يمتلك مميزات خاصّة ، جعلت منه صوتاً شعرياً بارزاً فهو يكتب القصيدة القائمة علي المفارقة الساخرة ، و علي الوضوح الذي لا غموض فيه . قد كتب قصائداً وسمّاها " اللافتات " معتبراً أنّها " صوت التمرد " ولها نفس مواصفات " اللافتة " التي يرفعها المتظاهرون من حيث الإيجاز و السهولة و الموقف المجدّد و الهدف التحريضي . وعرّف أحمد مطر بأنّه " شاعر المنفي " و " شاعر الحرية " و " شاعر انتحاري " إنّ لافتات مطر سهلة الفهم و لا توجد المفردات الغريبة فيها ، يستأنس بها القارئ حتي و إن كان حديث النشأة و العهد بالادب العربي و تحمل اشعارها في طياتها أروع المعاني و تستوقف الذهن اللبيب .

٣-١- ملامح السخرية عند أحمد مطر

السخرية عند أحمد مطر تختلف كثيراً عن السخرية عند شعراء العرب ، لأنّه لا يسخر شخصاً أو قوماً من أجل الأغراض الشخصية أو الحزبية أو تيار دون تيار بل نجد

غالبية سخريته في مجال الشعر السياسي الهادف، يحمل قضايا حرمت من حقها وسلط عليها حكام لا ينتمون إليها ويتحدث عن قضية إنسان سلطت عليه ألوان العذاب والظلم والقساوة كما يقول:

إنني لست لحزب..أو جماعة..
إنني لست لتيار..شعاراً..
أو لدكان..بضاعة..
إنني الموجة..تعلو حرة..
ما بين بين..
وتقضي نجهها دوماً..
لكي تروى رمال الضفتين..
وأنا..الغيمة للأرض جميعاً..
وأنا..الريح المشاعة..
غير أنني..في زمان الفرز
أنحاز..إلى الفوز
فإن خيرت ما بين اثنتين..
أن أغني مترفاً..عند يزيد
أو أصلي جائعاً..خلف الحسين
سأصلي..جائعاً..خلف الحسين



لست أهتم..بمن كان معي..
أو كان..ضدي..

لست أهتم بمن..أترك بعدي..
لست أهتم..بمن يكي دموعاً..
أو بمن..يكي..دمــــــــــــــــاء..
ليس عندي..غير هم واحد..
أن أسبق الموت إلى العيش
فأغدو امن ضحايا كربلاء

(المجموعه الشعريه:١٢٤)

وهذه الميزة"جعلت منه صوتاً شعرياً بارزاً،فهو يكتب القصيدة القصيرة القائمة علي المفارقة الساخرة، وعلي الوضوح الذي لاغموض فيه وكأنه يسلك من خلال ذلك مسلكاً شعرياً له دلالاته في عالم الشعر الحر المعاصر الذي يطغي عليه النكوص إلي الغموض والإيجاز في محيطات الرمز"(غنيم، ١٩٩٨: ٧)
"وتبدو نفسية احمدمطر من خلال شعره مفعمة بالحزن و الأسي ،لكنّه بطبيعته الساخرة يمزج السخرية بالحزن ،و هو يري أن سخريته غير مستغربة ، ذلك أنه من خلال استقراءه لواقع شرائح المجتمع وجد أن من يحسنون السخرية و الإضحاك هم أكثر الناس إمتلاءً بالحزن"(المصدر نفسه:٤٣)و في هذه العجالة لا يمكننا أن نفي هذا الشاعر حقّه وكيف ذلك وقد اتخذ السخرية اسلوباً في معظم قصائده.

٣-٢- أحمد مطر يلجأ إلى توظيف السخرية في أدبه

أحمد مطر شاعر المنفى الذي عصفت به رياح الطغاة وحاولت الدكتاتوريات المتعاقبة أن تطمس صورته وتكتم صوته، ولكنه ظل سيفاً مشهراً على كل نظام فاسد في كل أرجاء الوطن العربي، فلازالت الحريات تستصرخه، وتستنجد به حقوق الإنسان البائس في كل بلاد العرب، إنه صوت الإنسان الكادح والمواطن المثقل بأعباء المواطنة، إنه صوت الحرية في كل أرض وفي كل زمان، الحرية التي هي مطلب الإنسان في كل موطن وأوان "فالدفاع عن النفس حق مشروع ، والحرص على الحياة نزوع إنساني طبيعي، والرغبة في امتلاك الحرية والتمكن من ناصية الأحداث لازمة من لوازم الحياة

التي ظل الإنسان يدافع عنها، ويحرص على الاحتفاظ بها، وييدي كل الأساليب التي تميز له الوصول إليها" (حمودي القيسي، ١٩٨١: ٧)

عندما يقوم المفكر العربي بالتأمل والتفكير مطولا في الواقع الذي يعيش فيه المواطن العربي بأحداثه ووقائعه المؤسفة، فإنه لا يملك إلا أن يشعر بالغصة في حلقه ناهيك عن الغضب الشديد المتولد عن عدم قدرته على تغيير هذا الواقع، فلا يجد بداً من اللجوء إلى السخرية الناقدة واللاذعة من هذا الواقع، والتي تعمل على التخفيف من حدة آلامه والسخرية لكونها فن راقٍ يحتاج إلى الذكاء والفكر وأعمال العقل كما ذكرنا آنفاً، لذلك فهي سلاح خطير في يد الفلاسفة والكتّاب بوجه السياسات الظالمة المستبدة المتحكمة بمصائر الشعوب، كما أنهم يستخدمونها في نقد العادات والتقاليد البالية في المجتمع وأمراضه الكثيرة من جهل وتخلف ونفاق. وهذا ما فعله الشاعر أحمد مطر في شعره حيث استوعب تجارب حياته المناهضة للأنظمة الدكتاتورية القائمة على الظلم والقهر والاستبداد، وقد تولى أمر مهاجمتها بخطاباته النقدية اللاذعة المملوءة سخرية وازدراء وفق آليات جعلها تخدم أغراضه وموضوعاته التي فضح بها أبعاد التفكير واستراتيجيات السياسة لدى الحكام الذين زرعوا الرعب في قلوب شعوبهم بالملاحقة والترصص والظلم والقهر والقتل وتبديل الأمن بالخوف دون وجه حق، وقد اتخذ الشاعر أسلوباً متميزاً في السخرية من أولئك الساسة وزبائنتهم الذين كانوا يد البطش التي يبطشون بها. وبذلك اتخذ أحمد مطر من السخرية أداة له للنقد اللاذع والاضحاك وأحياناً النصيح مما جعل السخرية طاغية على شعره، فاقترن اسمه بها، فغداً أحمد مطر شاعر ساخر من طراز خاص فهو في شعره الساخر يحمل قضية إنسانية عامة بأبعادها المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية يعاني منها الشعب بمختلف طبقاته في ظل سلطة حاكمة غاشمة جردته من مقوماته الإنسانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحرمته من ممارسة كل ما لديه من تقاليد وأعراف. وهو يعرض هذه المشاكل بأسلوب ساخر يبلغ حد الحزن، عرضاً يصدق عليه القول: إن الساخرين هم أشد الناس حزناً، محاولاً أن

يسلط الضوء عليها ملتصقا بالحلل لكثير من المشاكل التي يعرضها في شعره. فلم يكن شاعراً ساخراً بقصد اللهو والعبث والإضحاك وإملاء الفراغ، بل كان جاداً في شعره. إن هذا الأسلوب يختلف عن أساليب الشعراء الساخرين الذين عرفناهم في العصور الأدبية الماضية.

إن الشاعر قد تناول الموضوعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، لكنّ قسماً كبيراً من شعر الساخر تطرق إلى الحكام الظالمين وقضية فلسطين المحتلة وتعذيب وجور يتعرض له العربي في البلدان العربية من الخليج إلى المحيط. الشاعر في سخرياته يدخل بجرأة مذهلة ولسان لا يعرف المحاباة ولم يسلك مسلك الوعظ والارشاد بل إنه ناقد ساخر، سخر من السياسة الجائرة التي قد تفتحت عينا أحمد مطر علي العالم ونشير فيما يلي إلى بعض موضوعات:

٤- نماذج من السخرية الثورية في شعر أحمد مطر:

قد تطرق أحمد مطر في شعره إلى موضوعات مختلفة ونظر إليها نظرة ساخرة وينقد عيوب المجتمع العربي نقداً لاذعاً وفيما يلي نشير إلى عدة منها:

٤-١- السخرية من الحكام العربية والأمم المتحدة

سخر أحمد مطر الحكام العربية لجهلهم وقسوتهم ونعتهم نعتاً شاملاً منها رائحة السخرية اللاذعة. فقد كتب الشاعر عشرات القصائد واللافتات الشعرية التي انتقد فيها الأنظمة العربية بشكل عام، فلا انتخابات حرة نزيهة ولا للشعب دخل في تقرير مصيره ولا أمل في الخلاص من سلطة الطواغيت التي تكون لهم أدوات القمع من قتل و سجن وإعدام، ويرى الشاعر الحل قتل جميع الحكام والروساء ويتوجه بخطابه اللاذع إلى الحكام العرب الذين خضعوا للأجنبي وأصبحوا ينفذون أوامره فإنّ الحل الذي يقدمه الشاعر لمعضلة هؤلاء الحكام هو العنف والثورة والوقوف في وجههم لأنهم لا يعترفون بغير ذلك لتغيير واقعهم المتردي:

أنا لو كنت رئيساً عربياً

لحللت المشـكلة

وأرحت الشعب مما أشعلة
أننا لو كنـت رئيسـا
لـدعوت الروسـا
ولألقيت خطابا موجزا
عما يعاني شعبنا منه
وعن سر العناء
ولقاطعت جميع الأسئلة
وقرأت البسـلـمة
وعليهم وعلي نفسي قذفت القنبلة

(المجموعة الشعرية: ٨٤)

مطر يعتقد أن الحاكم في البلاد العربية يعبد كما يعبد الله، المواطن يشاهد صورته في كل مكان ويسمع في الاذاعة صوته و يري في التلفاز صورته، الحاكم مالك كل مقدرات البلد و هو يفعل ما يشاء و يدبر الأمور كما يريد :

صورة الحاكم في كل اتجاه
باسم
في بلد يكي من القهر بكاه !
مشرق
في بلد تلهو الليالي في ضحاه !
ناعم
في بلد حـتـي بلاياه
بأنواع البلايا مبتلاه !

صاح

(المجموعه الشعريه: ٣٢٧)

و في شعر آخر يخاطب الحاكم ويجري حواراً مع الحاكم في الروياء و يسأل أنت
 خلقتنا أو هل جعلك الله إلهاً وهل الشعب انتخبك أو هل وهبك الوطن كهدية وفي
 الأخير يرجع إلي وعيه، يقال له في بيتك حلماً خائناً، يقول:

«قُلْتُ لِلْحَاكِمِ: هَلْ أَنْتَ الَّذِي أَنْجَبْتَنَا

قال: لا... لست أنا.

قُلْتُ: هَلْ صَیْرَكَ اللهُ إِلَهًا فَوْقَنَا؟

قَالَ : حَاشَا رَبَّنَا .

قُلْتُ : هَلْ نَحْنُ طَلَبْنَا مِنْكَ أَنْ تَحْكَمَنَا

قَالَ : كَلَّا .

قُلْتُ : هَلْ كَانَتْ لَنَا عَشْرَةُ أَوْطَانٍ

وَفِيهَا وَطَنٌ مُسْتَعْمَلٌ زَادَ عَلَيَّ حَاجَتِنَا
فَوَهَبْنَا لَكَ هَذَا الْوَطَنَ ؟
قَالَ : لَمْ يَحْدُثْ ... وَلَا أَحْسَبُ هَذَا
قُلْتُ هَلْ أَقْرَضْتَنَا شَيْئاً
عَلَيَّ أَنْ تَخْسِفَ الْأَرْضَ بِنَا
إِنْ لَمْ نُسَدِّ دَيْنَنَا ؟
قَالَ : كُلُّنَا .
قُلْتُ : مَا دُمْتُ ، إِذَنْ ، لَسْتُ إِلِهَا أَوْ
أَوْ حَاكِمًا مُتَخَبِّئًا
أَوْ مَالِكًا
أَوْ دَائِنًا
فَلِمَاذَا لَمْ تَزَلْ ، يَا ابْنَ الْكَذَا ، تَرْكُبُنَا ؟
... وَانْتَهَى الْخُلُمُ هُنَا .
أَيَقْظَتْنِي طُرُقَاتُ فَوْقَ بَابِي :
إِفْتَحِ الْبَابَ لَنَا
إِنَّ فِي بَيْتِكَ حُلماً خَائِئِلاً !»

(المجموعه الشعريه: ٢٠٩)

في قصيدة «الحاكم الصالح»، يصف الشاعر الحكام في العصر الراهن وهذه الصفات هي الصفات السلبية التي لا تتوفر في الحكام وعكس الصفات المذكورة يجب أن تكون لدى الحكام وهي الصفات التي تجب أن تكون للحكام، والحاكم في الواقع لا يعرف الصدق والوفاء وهو ظالم وسفاح للشعب العربي:
وَصِفُّوا لِي حَاكِمًا

لَمْ يَقْتَرِفْ، مُنْذُ زَمَانِ،
فِتْنَةً أَوْ مَذْبَحَةً!
لَمْ يَكْـذُبْ!
لَمْ يُخْنِ!
لَمْ يُطْلِقِ النَّارَ عَلَيَّ مِنْ ذَمِّهِ!
لَمْ يَنْشُرِ الْمَالَ عَلَيَّ مِنْ مَدَحِهِ!
لَمْ يَضَعْ فَوْقَ فَمِ دَبَابَّةً!
لَمْ يَزْدِرْغْ تَحْتَ ضَمِيرِ كَاسِحِهِ!
لَمْ يُجْـرُ!
لَمْ يَضْطَرْبْ!
لَمْ يَخْتَبِئْ مِنْ شَعْبِهِ
خَلْفَ جِبَالِ الْأَسْلِحَةِ!
هَوَّ شَعْبِي
وَمَأْوَاهُ بَسِيطٌ
مِثْلُ مَأْوَى الطَّبَقَاتِ الْكَادِحَةِ!

(لافتات ٦، ص ١٣٤-١٣٥)

يطلب الشاعر من مخاطبيه أن يصفوا له الحاكم الذي ليس مجرمًا، كاذبًا، خائنًا ولا يظلم شعبه ولم يقتلهم ولا ينفق الأموال علي شعراء السلطة الذين يمدحون الحاكم ويكسبون الصلة عندهم وهو لا يستفيد من آلة حرية ضد أبناء بلده وهو شجاع وشعبي ويجهد أن يعمل عملاً شاقاً ولذلك بيته بسيط مثل بيوت العمال والفلاحين. أي الشاعر يأمل أن يوجد الحاكم الذي لديه هذه الصفات ولكن ليس موجوداً في الواقع.

صوّر الشاعر صورة كاريكاتيرية: الكبت الشديد، فقدان الحرية، وجود الظلم الشامل بيد الحكام وشرطتهم في مجتمعه. ويصرخ بأن الحرية في المجتمع الحالي لا توجد والحكومة لا تسمح للإنسان العربي أن يكون حراً:

حَينَ أَمُوتُ
وَتَقُومُ بِتَأْيِينِي السُّلْطَةُ
وَيَشِيعُ جُثْمَانِي الشَّرْطَةُ
لَا تَحْسَبُ أَنَّ الطَّاغُوتَ
قَدْ كَرَّمَنِي
بَلْ حَاصِرْنِي بِالْجَبَرُوتِ
وَتَتَبَعْنِي حَتَّى آخِرِ نَقْطَةٍ
كَيْ لَا أَشْعُرَ أَنِّي حُرٌّ
حَتَّى وَأَنَا فِي التَّابُوتِ !

(لافتات ٣، ص ٨٠)

يقول الشاعر في مجتمع العربي الحالي حيثما يموت الإنسان تقوم الحكومة بتشيعه لكن هذا العمل ليس بمعنى إكرام الميت علي يد الحكومة بل الحكام مع قدرة طاغية يحيطونه ولا يطلقونه حتي في التابوت. تكون السخرية في هذا القول: لست حراً حتي في التابوت.

يشير الشاعر إلي الواقع المرير في مجتمعه بالصور الكاريكاتيرية، وشبه مجتمعه بدائرة ضيقة باسم الزمن، وصوّر بهذا الوصف الكبت الشديد في مجتمعه وفقدان الحرية ووجود المخبرين الذين يتربصون بالشعب العربي ويطاردونهم دوماً:

دَائِرَةٌ ضَيِّقَةٌ،
وَهَارِبٌ مُدَانٌ
أَمَامَهُ وَخَلْفَهُ يَرْكُضُ مُخْبِرَانُ.

هَذَا هُوَ الزَّمَانُ !

(مطر ، ديوان الساعة، ص ٤)

يصف الشاعر دائرة ضيقة فيها يوجد الفارّ يطارده المخبران أي القوي السريّة وهذا الفارّ هو الزمن. يقول الشاعر في مجتمعا كلّ الأشياء تفرّ من المخبرين حتي الزمن. ومحلّ الشاهد هنا كون الزمن، وهو أمر معنوي، محاصر بالمخبرين.

نلتقي بعد ذلك بعنصر أخير هام في شعر أحمد مطر، ذلك هو العنصر الذي يجمع بين السخرية التي تشبه ما نسميه بالكوميديا السوداء، وبين الإدهاش ومفاجأة القاريء بالصور التي تصدمه فتوقظ عقله و وجدانه، وهو يعتمد في ذلك كلّ علي كشف التناقض بين ما هو واقع وبين ما هو قائم في النفس والعقل، فالكرامة عندنا- كما هو المألوف- مقدسة ونبيلة، ولكن الشاعر يصدّنا ويدهشنا ويجرحنا ويفاجئنا في قصيدته "طبيعة صامتة": (رجاء النقاش، شاعر جديد يلفت الأنظار)

فِي مَقْلَبِ الْقِمَامَةِ
رَأَيْتُ جُثَّةَ لَهَا مَلَامِحَ الْأَعْرَابِ
تَجَمَّعَتْ مِنْ حَوْلِهَا "النَّسُورُ"
وَفَوْقَهَا عِلَامَةٌ
تَقُولُ: هَذَا هِيَ جِنْفَةُ
كَانَتْ تُسَمَّى سَابِقاً .. كِرَامَةً !

(لافتات ٣، ص ١٢)

يصف الشاعر مزبلة قد وقعت فيها جثة إنسان عربي وتحيطه الوحوش كالنسور والدباب وفوقها لوحة تقول: هذه الجثة الميتة أي الكرامة في مجتمعا فقدت لأجل ورود الأجانب أي أنّ تلك الجثة هي الكرامة العربية المتعفنة.

يقارن أحمد مطر في القصيدة الآتية بين الحرية في البلدان غير الإسلامية (الأوربية) البعيدة عن المفاهيم الإلهية التي تدعو للحرية. والمفارقة هنا هي أنّ المسلمين الذين يؤمنون بالمفاهيم الإلهية تنعدم الحرية في مجتمعاتهم، بينما نراها في المجتمعات المشتركة:

في بلادِ المُشْرِكينِ
يَبْصُقُ المرءُ بوجهِ الحاكمِ
فَيُجَازِي بالغرامِ—هـ!
ولَدِينَا نحنُ أصحابُ اليمينِ
يَبْصُقُ المرءُ دَمًا تحتَ أياديِ المُخْبِرِينَ
وَيَـرِي يَـوْمَ القِيَامِ—هـ
عندنا يَنْثُرُ ماءَ الوردِ والهيلِ
بِـلا إِذْنِ
علي وجهِ أميرِ المؤمنين .

(لافتات ١، ص ٥٥)

يقول أحمد مطر في بلاد المشركين والظالمين يبصق الإنسان بوجه الحاكم فيحكم بغرامة مالية علي عمله فقط وفي مجتمعنا يكون بصاق الإنسان دماً بسبب تعذيب المخبرين له أما إذا ألقى ماء الورد والهيل، وهو عطر الرائحة، علي وجه الحاكم فإن المخبرين يرونه يوماً عسيراً كيوم القيامة أي يجعلونه في جهنم. وتمثل هذه القصيدة معاناة الإنسان العربي وآلامه، وتبين لنا الصراع بين الحاكم والأجهزة القمعية مع أبناء الشعب، وهذه الممارسات القمعية تشير إلي الكبت الشديد والواقع المرير في مجتمعه. الشاعر في قصيدة «بيت وعشرون راية» يسخر من الجامعة العربية التي تريد استعادة حقوق العرب المغتصبة عن طريق منظمة الأمم المتحدة:

أَسْـرَـرْـتْـنَا مَؤْمَـنَـةً
تُطِيلُ مَنْ رَكَوعَهَا
تُطِيلُ مَنْ سَجُودَهَا
وتطلب النصر علي عدوها

من هيئة الأمم !

(لافتات ١، ص ١١٣)

يقول أحمد مطر أفراد أسرتنا وهو يقصد بالأسرة جميع البلدان العربية مؤمنون ويصلّون الصلاة وفي ركوعها وسجودها يطيلون لكن يريدون المساعدة من هيئة الأمم المتحدة علي أعدائهم وهيئة الأمم المتحدة لا تضمّ المسلمين فقط. فهو يسخر من الدول العربية التي تدّعي أنها ملتزمة بالإسلام ولا تتوكل علي الله فتقوم بأخذ حقوقها المغتصبة.

٢-٤- السخرية من فقدان حرية التعبير في البلاد العربية:

الموضوع المحوري لدي احمد مطر هو النضال للحرية، كتب عن الحرية التي لم تتحقق الا بقوة السلاح، إنّ همّه الاول والآخر هو الحرية التي صودرت من قبل السلطة ففي هذه الاجواء يفقد الشعب كل شي ءمن حرية رأيه امام الحكام الجائرين الذين لا يسمحون لأحد أن يبدي عن موقفه تجاه ما يجري في البلاد، ويعتقد أن المواطن في الوطن العربي كأنه ميت، وإذا قام بعمل أو ألقى حكمة يتهم بالإرهاب والتخريب أو الطعن في القوانين الإلهية وهذا كله يدلّ علي فقدان الحرية:

"أريد الصّمتَ كي أحيَا
ولكنّ الَّذي ألقاهُ ينطِقُنِي .
وَلَا أَلْقِي سِوِي حُزْنٍ
عَلَيَّ حُزْنٍ
عَلَيَّ حُزْنٍ
أَكْتُبُ "أَنْنِي حَي"
عَلَيَّ كَفَنِي ؟
أَكْتُبُ "أَنْنِي حُرُّ"
وَحَتَّى الْحَرْفُ يُرْسِفُ بِالْعُبُودِيهِ ؟

لَقَدْ شَيعَتْ فَاتِنَةٌ
تُسَمَّى فِي بِلَادِ الْعُرْبِ تَخْرِيأً
وَأَرَاهِباً
وَطَعْناً فِي الْقَوَانِينِ الْإِلَهِيَّةِ
وَلَكِنْ أَسْمَهَا وَاللَّهُ
لَكِنْ أَسْمَهَا فِي الْأَصْلِ
... حُرِّيَّةً !»

(المجموعه الشعريه: ٣٣)

يقول أحمد مطر عن المجتمع العربي حين يموت الناقد السياسي تقوم الحكومة بتشيعه لكن هذا العمل ليس بمعنى إكرامه علي يد الحكومة بل الحكام مع قدرة طاغية يحيطونه حتي في التابوت ويصور الشاعر بشكلٍ درامي إن الحرية مسلوبة حتي في لحظة موته و تشيعه إلي المقبرة:

حين أموت
وتقوم بتأيتي السلطة
يشيع جثمانني الشرطة
لا تحسب أن الطاغوت
قد كرمني
بل حاصرني بالجبروت
وتتبعني حتي آخر نقطة
كي لا أشعر أنني حر
حتي وأنا في التابوت

(المجموعه الشعريه:١٢٠)

وفي قصيدة أخرى يشير الشاعر إلي انعدام التفاهم و حرية الراي بين الحاكم و الشعب
فأوامر الحاكم لا تقبل التفكير أو النقاش و من يفعل ذلك يلق القتل و الهوان بينما
المواطن في البلاد الغربية يستطيع أن يسأل المسؤولين ما يريد وعلي المسؤول الإجابة علي
أسئلة المواطنين دون خوف أو قلق:

عَلاقَــتي بِحَــاكِمي
لَــيْسَ لَــهَــا نَظَــير
تَبْدَأُ ثُمَّ تَنْتَهِـي ... بِرَاحَةِ الضَّـمِير .
مُتَّفَــقَــانَ دَائِماً، لَكِنَّا
لَوْ وَقَعَ الْخِلَافُ فِيمَا بَيْنَنَا
نَحْسِبُهُ فِي جَدَلٍ قَـصِير
أَنَّا أَقْـوَلُ كَلِمَةً
وَهُـوَ يَقْـوَلُ كَلِمَةً
وَإِنَّهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَقُولَهَا ... يَسِير
وَإِنِّي مِنْ بَعْدِ أَنْ أَقُولَهَا ... أَسِير !

(المجموعه الشعريه:١٤٥)

٢-٤-السخرية من تقاسم العرب تجاه القضية الفلسطينية

لقد ظن بعض من كتبوا عن أحمد مطر أنه من شعراء فلسطين؛ وذلك لاهتمامه
البالغ بقضيتها، فما يحمله لها من فكر و حماس لا يقل عما يحمله أخلص شعراء
فلسطين. من هنا كانت علاقته بهذه القضية علاقة توحيد لا انفصام لها وانعكس في شعره
الساخر. شكلت القضية الفلسطينية محوراً بارزاً في شعره، فقد عالجها في مواضع كثيرة
ومن زوايا مختلفة وفضلاً عن تحديد أسباب النكبة أشار في اكثر من مرة إلى الآفاق التي
يمكن من خلالها إعادة الوطن السليب ، و يحمل الحكام العرب مسؤولية ضياع فلسطين

لأنهم لم يحرّكوا ساكناً ويعتذر أحمد مطر نيابة عن الإنسان العربي المكبل بالأصفاد من قبل الأنظمة العربية الخائنة ويحمل الحكام العرب مسؤولية ما أصابت فلسطين وشعبها :

يا قدس معذرة ومثلي ليس يعتذرُ
مالي يد في ما جرى فالأمر ما أمروا
وأنا ضعيفٌ ليس لي أثرُ
عار عليّ السمع والبصرُ
وأنا بسيف الحرف انتحرُ
وأنا اللهب .. وقادتي المطرُ
فمتى سأسـتـعرُ؟!

(المجموعه الشعريه:٢٧)

فلسطين عند أحمد مطر، هي الرمز وقد تغني بها وراح يطلق الكلمات ويعبر عن مدي عمق الجراح هناك. وأن فلسطين باقية وما زال النزال مستمراً رغم أن حكام العرب يبدو أنهم قد نسوا فلسطين، فهم مشغولون علي هزّ القناني وعلي هزّ البطون ولكن وإن مرّ زمنٌ علي هذه القضية لكن الشرفاء سيعيدون الأرض المغتصبة للوطن الحبيب:

هَرم الناس و كانوا يرضعون
عند ما قال المغني : عائدون .
يا فلسطين و ما زال المغني يتغني
و ملايين اللحنون
في فضاء الجرح تفني
و اليتامي ... من يتامي يولدون .
يا فلسطين و أرباب النضال المدمنون

سَاءَ هُمْ مَا يَشْهَدُونَ
فَمَضُوا يَسْتَتَكِرُونَ
وَيَخُوضُونَ النُّضَالَاتِ
عَلَيَّ هَزَّ الْقَنَانِي وَعَلَيَّ هَزَّ الْبُطُونِ !
عَائِدُونَ
وَلَقَدْ عَادَ الْأَسَى لِلْمَرَّةِ الْأَلْفِ فَلَا عُدْنَا
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ !

(المجموعه الشعريه: ٢٠)

٤-٤- السخرية من الجواسيس والمخبرين في البلاد العربية:

يصف الشاعر المجتمع العربي بأنه غصّ بالمخبرين وإنهم موجودون في كل مكان حتي لا يشعر الانسان العربي بأدني حرية في حياته وهذا الامر جعل المجتمع كسجن كبير يصور الشاعر الصراع بين السلطة وأجهزتها القمعية بأسلوب ساخر:

غصّ ما تحت السماوات وفوق
بعيون مخبرين
كل انسان لدينا تهمة تمشي
ويمشي معها الف كمين
نصفنا في داخل السجن
ونصف خارج السجن سجين
لم نعد نملك ما نبديه من اصواتنا
حتي الآن
لم نعد نملك ما نخفيه في أعماقنا
حتي الحنين

ضاقت الدنيا علي الدنيا
و ضيعنا الجهات الاربعين...

(المجموعه الشعريه ١٤٩-١٤٨)

ينتقد الشاعر بشدة اساليب القمع و المخابرات والمنظمات الامنية حتي تصل
الحالة بالمواطن أنه يشعر بغربة ما بعدها غربة حتي يخال المواطن كل من حوله مخبرين
يعملون للسلطة حتي إذا يريد المواطن أن يبحث عن بيت صديقه يجد المخبرين في
الشارع و في كل مكان و يسميه "أمير المخبرين" و يدعو للحاكم ساخرًا لأنه يحرس بلاد
المسلمين بآلاف الجواسيس و المخبرين :

«تَهتُ عَنْ بَيْتِ صَدِيقِي
فَسَأَلْتُ الْعَمَّالِينَ
قِيلَ لِي : إِمَشْ يَسَاراً
سَتَرِي خَلْفَكَ بَعْضَ الْمَخْبِرِينَ
حُدْ لَدِي أَوْلَهُمْ / سَوْفَ تُلَاقِي مُخْبِراً
يَعْمَلُ فِي نَصَبِ كَمِينٍ .
إِتَّجِهْ لِلْمُخْبِرِ الْبَادِي أَمَامَ الْمُخْبِرِ
تَجِدُ الْبَيْتَ وَرَاءَ الْمُخْبِرِ الثَّامِنِ
فِي أَقْصَى السَّيِّمِينَ !
حَفِظَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمَخْبِرِينَ
فَلَقَدْ أَتَّخَمَ بِالْأَمْنِ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ .
أَيُّهَا النَّاسُ اطمئنوا
هذه أبوابكم محروسة في كل حين
فادخلوها بسلام ... آمنين !»

(المجموعة الشعرية : ٤٢-٤١)

و ليرسم الشاعر الجو الأمني الذي يظل كالغيم علي الوطن العربي يكرر كلمة "المخبر" وفي سخرية أخرى يصور المجتمع مملوءاً من كثرة المخبرين ويقول:

«مَخْبِرٌ يَسْكُنُ جَنَبِيَّ»

مخبرِ ریلو ہوجی

مَخْبَرِ يَنْبَشْ قَلْبِي

مخبرِ رِیـدرِسِ جِلـدی

مخبر يقراً ثوبي

مُخْبِرٌ خَارِجٌ أَكْلِي

مُخْبِرٌ دَاخِلٌ شَرِيبِي

مخبر يرصد بيتي

مَخْبَرِ يَكْنَسْ دَرَبِي

مَخْبَرٌ فِي مَخْب

(المجموعه الشعريه: ٢٥٧)

٤-٥-السفيرة من الشعوب العربية

لا يعتد أحمد مطر أن الحكومات وحدها التي تتحمل مسؤولية حالة الضعف العربي ، بل يحمل الشعوب والأفراد المسؤولية ذاتها . وهو يردد دائماً القول أن فرعون لن يقول " أنا ربكم الأعلي " إلّا إذا رأى حوله عبداً يطيعونه حين يضلّهم. الشعوب لم تقم بدورها المطلوب وإنما تردّد ما يريده الحكام و اكتفت بالأقوال من دون الأفعال وهكذا يحرّض الشاعر الشعوب ويدعوها الي التخلص من حكامها الظالمين.

إذا الضُّحَا سَمَّيْتُ

بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ

لأنتفضت أشلاؤها وجلجلت :

لقائد عميل !!

(المجموعة الشعرية: ٥٨)

يعتقد احمد مطر التعايش مع الناس و تحمل الظلم أشد من الإعدام ويعتقد أن
المواطن في الوطن العربي لو أعدم أخف وأسهل من الحياة في هذا الوطن ويقول:

الإعدام أخف عقاب يتلقاه الفرد

أهنالك أقسى من هذا ؟ طبعاً ...

الأقسى من هذا

أن يحيا في الوطن العربي !»

(المجموعه الشعريه: ٢٥٤)

يري الشاعر المجتمع قد جاوز الحد في ذلته و تحمله للامتهان و لا سبيل لإصلاحه
سوي أن تنبت الارض خلقاً آخر لأن المجتمع لو كان سليماً لكفاه نبي واحد لإصلاحه
يوجه نقده وسخريته التي تعبر عن ألم الشاعر لما يلحق هذه الأمة من ظلم بسبب صمت
الشعوب والمفكرين والمثقفين في أرض كانت مهبط الأنبياء ورجال كبار وإستبدلوا
الكبريا بالذل:

فصــــيحنا ببغــــاء ،

قوينــــا موميينــــاء ،

ذكينــــا يشمت فيه الغباء ،

ووضعنا يضحك منه البكاء ،

تســــممت أنفاســــنا

حتى نســــينا الهــــواء ،

وامتــــزج الخــــزي بنا

حتى كرهنا الحياء ،
يا أرضنا.. يامهبط الأنبياء ،
قد كان يكفي واحد
لو لم نكن أغبياء ؛
يا أرضنا
ضاع رجاء الرجاء ،
فينا ومات الإباء ،
يا أرضنا ، لا تطلبي من ذلنا كبرياء ،
قومي احبلي ثانية
وكشفي عن رجل
لهؤلاء النساء

(المجموعة الشعرية :٣١)

٦-٤- السخرية من الشعراء

احمد مطر شاعر لا يشبه شعراء عصره و لا ينتمي اليهم الشعراء الذين ينشغلون بالحب و الغزل ولا يعتنون بما يجريفي المجتمع العربي من الظلم والكبت و ينتقد الشعراء الذين لا يشاركون الشعب همومه وتطلعاته. تشمل سخرية أحمد مطر الشعراء الذين ينشغلون عن قضايا أمتهم بقضاياهم الخاصة ومن بينها الحب والغزل ويلعن الشاعر الذي يغازل الشفاه والنهدين وشعر الحبيبة بقوله :

كفرتُ بالأفلام والدفاترُ
كفرتُ بالفصحى التي
تجبل وهي عاقرُ
كفرتُ بالشعر الذي

لا يوقفُ الظلمَ ولا يحركُ الضمائرُ
لعنتُ كلَّ كلمةٍ
لم تنطلق من بعدها مسيرةً
لعنتُ كلَّ شاعرٍ
ينام فوق الجمل النديّة الوثيرة
وشعبه ينام في المقابر
لعنتُ كلَّ شاعرٍ
يستلهم الدمعة خمراً
والأسى صباباً
والموت قشعريرةً
لعنتُ كلَّ شاعرٍ
يغازل الشفاه والأثداء والصفائر
في زمن الكلاب والمخافر
ولا يرى فوهةً بندقيّةٍ
حين يرى الشفاه مستجيّرةً!
ولا يرى رمانّةً ناسفةً
حين يرى الأثداء مستديرةً!
ولا يرى مشنقةً
حين يرى الضفيرة
في زمن الآتين للحكم
على دبابّةٍ أجيرةً

أو ناقة العشرة

لغنت كل شاعر

...

لا يقبطني قبلة

كي يكتب القصيدة الأخيرة ! .

(المجموعة الشعرية : ٥٤)

يعتبر احمد مطر الشاعر الحقيقي هو الذي تعرض نفسه للموت لأنه يعتقد أنه جعل صدره دفترًا و كتب شعره عليه بالسيف وإنه يري الشاعر الذي يكتب عن واقعية المجتمع كالذي ينتحر بخنجر الكلام :

سبعون طعنة هنا موصولة النزع

تبدي ولا تخفي

تغال خوف الموت بالخوف

سميتها قصائد

وسمها يا قارئ : حنفي

وسموني متحرراً بخنجر الحرف

لأنني في زمن الزيف

والعيش بالزمار والدف

كشفت صدري دفترًا

وفوقه كتبت هذا الشعر بالسيف

(المجموعة الشعرية : ١٢)

ص حيفه
عليها س طور كئيفه
وفيه س طور كئيفه
وفيه ا خطوط .. وفيها صور
تروح وتأتي بنفس الخبر
يعيش الخليفة .. يحيا الخليفة ! .

جس الطیب خافقی
وقال لـ
هل هاننا الألم؟
قلت له: نعم
فشق بالمشروط جيب معطفي
وأخـرج القلبـم
هز الطيب رأسه .. ومال وأبتسم

وقال لــــي
ليس سوي قلم
فقلت: لا ياسيدي
هَذَا يد... وفم
رصاصــــة... ودم
وتهمة سافرة... تمشي بلا قدم

(المجموعة الشعرية: ٢٠)

ثم يوجه نقداً مرّاً وقاسياً إلى الشعراء الذين يهادنون السلطان. رسالة الشاعر لدي أحمد
مطر الإلتزام بالدفاع عن أبناء شعبه وتصور معاناته وما لحقه من أذى بأسلوب لاذع
ويعتقد أنّ مصير الشاعر الحقيقي هو الإستشهاد كما أستشهد عدد منهم في هذا الطريق
بقوله:

لأنا مت أعين الجبناء
ورأيت مئات الشعراء
تحسنت حذائي
ووجوه يسكنها الخزي
على اســــتحياء
في زمن الأحياء الموتى
على اســــتحياء
في زمن الأحياء الموتى.
تنقلب الأكفان دفاتر
والأكباد محابر
والشعر يسد الأبواب

فلا شعراء سوى الشهداء ! .

(المجموعة الشعرية: ٣٤)

ويسخر من الشعراء الذين يجدون السلاطين بشعرهم مقابل بعض الأموال
والنياشين الزائفة ويعلل سكوت بعض الشعراء عن قول كلمة الحق. الشاعر إما يأخذ
الصلة ويسكت وإما يرفض كلامه إذا لم يكتم أسرار النظام الحاكم بقوله :

يا ناس أني صامت
واحمد الله إذا لم اعتقل
بتهمه الكتمان
فالشاعر الشريف في أوطاننا
يُـدَانُ أو يُـدَانُ
يـا سـاـدـتـي
تلك هي القضية .

(المجموعة الشعرية: ١٠٥)

و يصور معاناته وينتقد السلطات التي تكبل الثقافة بالرقابة يقول مخاطباً الرقيب
بأسلوب فني ساخر :

أيـن نمضي
أنت لا تفهم شعري ؟
مما الغريب
أننا لا أفهمه أيضاً
ولكن
ينبغي أن أتحدث
كل ما يؤذي الرقيب .

(المجموعة الشعرية: ٢٢٥)

نتائج البحث

برع الشاعر في السخرية الثورية وغرضه وهدفه هو إيكاء وبيان الألم وكبت الحريات و مؤامرات السلطات والأجانب وإفشاء هذه المؤامرات والمظالم. وبهذه السخرية يهجم علي الحكام والسلطة والأجهزة الإعلامية ويفضحهم في قصائده. وهذا الأسلوب في شعره تدلّ علي مخالفته مع الحكام والسلطات والمستكبرين وقوي الأمن والمخبرين والأجهزة الإعلامية وسلطة الأجانب. ولعلنا نستطيع أن نقول إنه ليست هناك قصيدة من قصائد الشاعر تخلو من هذا الأسلوب. كما أنه يلجأ إلي القافية فيستعمل القافية المقيدة والمزدوجة أكثر من بقية أنواع القوافي مع أنه من رواد الشعر الحرّ. تتجلى في قصائد أحمد مطر الكبرياء الإنسانية التي يراها أرفع من كل ظالم وأعظم من كل سلطة، فهو يريد أن يعيد للإنسان قيمته الحقيقية التي أنزل بها ، ويدعو دائماً إلى الثورة على الظلم والاستبداد والتسلط ، وقد قصر كل حياته وشعره على الدفاع عن حق الإنسان في الوطن العربي، ولم يتجه إلى الفنون الشعرية الخالصة، إذ لم يكن من اليسير عليه الاتجاه إلى الحب والغزل ووصف الطبيعة الساحرة التي لا يكون للسياسة أو النظام سلطان عليها ، لأنه كان أقرب إلى معاناة الناس وهموم الفقراء. فهموم الشاعر هي هموم الوطن. تمثل السخرية لدي الشاعر براعة و لعبة ذكية لا يجيد استخدامها إلا الأذكاء المبدعون ، لذا فإن براعته في السخرية شكلت حقيقة تميزه عن غيره من شعراء العربية المعاصرين ، لأنّ الشاعر وظفها بوعي خدمة لبناء نص عربي جديد حتي أن السخرية شكلت طابعاً مميزاً لأعماله الشعرية و صارت علامة يمكن أن يتلمسها القارئ لشعره و ميزته هذه العلامة عن أقرانه من الشعراء العرب المعاصرين . فأهم ما توصل إليه البحث كالتالي:

١- يعدّ الشاعر أحمد مطر من أبرز شعراء السخريين في العالم العربي المعاصر اكتست سخريته ثوباً سياسياً وثورياً واجتماعياً حيث وظفها كبوقٍ أعلن من خلاله عن مواقف الصارمة والصلبة حيال الأنظمة العربية الفاشلة بنبرة صارخة حتى اشتهر في الأوساط الأدبية بشاعر السياسة. تمتاز سخريته الثورية بميزتين أساسيتين: أولاً من

حيث الدلالة أنها تحمل في طياتها معاني ثورية تندد بالأنظمة السياسية والاجتماعية في العالم العربي. ثانياً ومن حيث الصياغة فإنها صيغت بلغة نارية ولهجة شديدة عارمة تنقُص على الأنظمة التي خانت قضايا الشعوب العربية كالصاعقة.

٢-السخرية عند احمد مطر ليست للتسلية أو للهو و الضحك و إنما هي سخرية هادفة هدفها الدفاع عن شعب محروم و مضطهد و تحريض الشعوب علي القيام بوجه السلطات الجائرة.

٣ -يحرك الشاعر الضمائر بسبب جديته و ثوريته و حماسيته فشعره ليس عاطفياً بل يخلو منه.فهو يعرض في شعره الوطن العربي كأنه وطن واحد و لا يختص ببلد دون بلد و قضيته قضية الانسان العربي، بل قضية انسانية لا عراقي فحسب.

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير ما نبتدىء به القرآن الكريم
- ٢-ابن ابي سلمي، زهير، ١٩٦٤، ديوان، دار الصادر، بيروت
- ٣- ابن منظور، لسان العرب، ١٩٨٨ م، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان
- ٤-أخطل، ١٩٩٥، ديوان، شرح مجيد طراد، دار الجليل، بيروت
- ٥-بدوي، مصطفى، ١٩٦٩، مختارات من الشعر العربي الحديث، دار النهار للنشر، بيروت
- ٦-بكري، حامد، ١٩٨٨، الحكاية الساخرة في أدب احمد مطر، مجلة الأحداث، لندن
- ٧-البياتي، عبد الوهاب، ١٩٩٥، الاعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت
- ٨-التميمي، قحطان رشيد، دت، إتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، دارالمسيرة، بيروت
- ٩-جاسم الحسين، احمد، ١٩٩٧م، القصة القصيرة جداً، منشورات دار عكرمة
- ١٠-جميل صليبا، ١٩٧٨م، المعجم الفلسفي، شركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان
- ١١-الحوافي، أحمد، ٢٠٠٥، الفكاهة في الادب اصولها و انواعها، مكتبه نهضة بمصر، قاهره
- ١٢-حمودي القيسي، نوري، ١٩٨١م، شعر الحرب عند العرب، منشورات دار الجاحظ، بغداد
- ١٣-السطوحي، سها عبد الستار، ٢٠٠٧، السخرية في الادب العربي الحديث، الهيئه المصريه العامه للكتاب، قاهره
- ١٤-طالبي قره قشلاقي، ايرواني زاده عبد الغني، شاملي نصرالله، (١٤٣٣-١٤٣٤ هـ): دراسة الهجو الساخر السياسي و أساليبه في شعر دعبل، مجلة اللغة العربية و آدابها برديس قم، العدد ١٥، صص ٧٣-٩٤

١٥- طه، نعمان محمد امين، ١٩٧٨، السخرية في الادب العربي حتي نهايه القرن الرابع الهجري، دار التوقيه للطباعة بالأزهر، القاهرة

١٦- عايش، محمد، ٢٠٠٦، احمد مطر، شاعر المنفي، دار اليوسف، بيروت

١٧- عبدالعال ، حافظ كوزي ، ٢٠١٣ ، التوظيف القرآني في شعر أحمد مطر، مجلة آداب الكوفة، العدد ١٣

١٨- عبدالغفور، عبد الحميد، ١٩٨٩، الالتزام في شعر أحمد مطر، مجلة الاصلاح الثقافي

١٩- عيدان، انتصار جويدان، ٢٠١٢، المفارقة في شعر أحمد مطر ، مجلة كلية اللغات بغداد، العدد ٢٤

٢٠- غنيم، كمال احمد، ١٩٩٨م، عناصر الابداع الفني في شعر احمد مطر، مكتبة مدبولي، القاهرة

٢١- قباني، نزار، ١٩٩٣، الاعمال الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت

٢٢- الكعبي، احمد صبيح، ٢٠١٢م، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد العاشر، العدد الاول

٢٣- محمد جمعة، نجوي ، ٢٠١٣ ، اساليب السرد القصصي ووسائله في شعر احمد مطر، مجلة دراسات البصرة ، العدد ١٦

٢٤- مطر، احمد، ٢٠١١م، الجموعه الشعريه ، دار الحريه، بيروت، لبنان

٢٥- مطر، أحمد (١٩٨٧م). لافتات . الطبعة الثانية. لندن.

٢٦- (٢٠٠١م). لافتات ٢. الطبعة الثانية. لندن.

٢٧- (١٩٨٩م). لافتات ٣. الطبعة الأولى. لندن.

٢٨- (٢٠٠١م). لافتات ٤. الطبعة الثانية. لندن.

٢٩- (٢٠٠١م). لافتات ٦. الطبعة الثانية. لندن.

٣٠- (١٩٨٩م). ديوان الساعة. الطبعة الأولى. لندن.

٣١- (١٩٨٩م). إني المشنوق أعلاه. الطبعة الأولى. لندن.

٣٢- (١٩٩٠م). العشاء الأخير. الطبعة الأولى. لندن.

٣٣- النويهي، محمد، ١٩٦٩م، ثقافة الناقد الادبي، دار الفكر، بيروت

٣٤- الهندي ، عبدالرفيع ، ١٩٩٣م ، العملية الابداعية من منظور تأويلي لاحمد مطر، مجلة المنعطف، العدد الرابع